فتح برقة[1]

بعد أن تم لعمرو فتح مصر، وفرغ من تنظيم أمورها، أراد أن يؤمن هذا الفتح من الغرب بفتح برقة وطرابلس، ومن الجنوب بفتح بلاد النوبة فسار بفرسانه يريد برقة فى أواخر سنة ٢١هـ كما ذكر ابن خلدون وياقوت والكندى وغيرهم، أو أوائل سنة ٢٢هـ كما ذكر ابن الأثير وبعض المؤرخين (النصف الأول من سنة ٦٤٣م).

قدم عمرو برقة فصالحه أهلها على جزية سنوية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار، يدفعونها بأنفسهم للمسلمين فى مصر. يقول ياقوت فى معجمه: «وهى مما افتتح صلحا... وألزم أهلها من الجزية ثلاثة عشر ألف دينار... وأسلم أكثر من بها فصولحوا على العشر ونصف العشر... وكان شرطهم ألا يدخلها صاحب خراج، بل يوجهوا بخراجهم إلى مصر»[2].

أرسل عمرو إلى الخليفة يخبره بذلك «وأنه قد ولى على المغرب عقبة ابن نافع الفهرى فبلغ زويلة وأن من بين زويلة وبرقة سلم كلهم حسنة طاعتهم، قد أدى مسلمهم الصدقة وأقر معاهدهم بالجزية وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه....»[3].

●●●

(١) كانت برقة -كما ذكر البلاذرى- تسمى انطابلس.

(٢) إذا لاحظنا هذا الشرط فإنا نتبين أن أهل برقة يتميزون منذ القدم بعزة النفس كما يتصفون بالوفاء وقد وصفهم بذلك عبد الله بن عمرو فقال: «كان أهل برقة يبعثون بخراجهم إلى والى مصر من غير أن يأتيهم جاب أو مستحث فكانوا أخصب قوم بالمغرب ولم يدخلها فتنة» بل إن ابن عمرو تمنى أن يعيش فى برقة إذ يقول: ما أعلم منزلا لرجل له عيال أسلم ولا أعزل من برقة ولولا أن أموالى بالحجاز لنزلت برقة. فتوح البلدان للبلاذرى.

(٣) المصدر السابق.

فتح طرابلس[1]

بعد أن صالح عمرو أهل برقة اتجه إلى طرابلس، وكانت مدينة حصينة وبها جيش كبير من الرومان فقاومته واستعصت عليه فضرب عليها الحصار أكثر من شهر، وأخيراً تسلل جماعة من المسلمين بين أسوار المدينة والبحر غربى المدينة، وكان البحر لاصقًا بها وليس بينه وبينها سور من هذه الجهة، وكانت سفن الروم شارعة فى مرساها إلى بيوتهم.

اصطدمت هذه الجماعة من المسلمين بجماعة من الروم فقاتلوهم وكبروا. وكان لتكبيرهم دوى، ففر الروم وتبعهم المسلمون يكبرون فذعر حراس الأبواب فتركوها إلى سفنهم ففروا بها. ودخل عمرو المدينة وغنم ما كان فيها.

ثم انقض على مدينة صبرة على حين غفلة من أهلها ففتحها عنوة وغنم منها الشىء الكثير، وكتب إلى الخليفة يستأذنه فى مواصلة السير غربًا لفتح إفريقية إلا أن الخليفة أمره بالتريث حتى يستقيم له أمر البلاد فى مصر، فعاد عمرو إلى مصر وأرسل جيشًا إلى بلاد النوبة فلم يستطع إخضاعها على الرغم مما تكبده من خسائر فادحة وظلت المناوشات بين الفريقين حتى عقد الصلح بينهما فى عهد الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه.

●●●

(١) يقال لها إطرابلس وسماها اليونانيون طرابليطة.

مقتل عمر!

إن ما قام به عمر بن الخطاب من الأعـمال العظيمة، وما تم على يد ذلك الحاكم الديمقراطى تجعله أحد المصلحين الأفذاذ، وواحدًا من عظماء التاريخ.

على أن حياة هذا الرجل الكبيـر قد ختمت ختامًا مـا كان ينتظر لمثله! فقد اغتاله رجل فارسى يعرف بفيروز ويكنى بأبى لؤلؤة.

وكان هذا الفارسىّ للمغيرة بن شعـبة وهو يجيد النجارة والحدادة والنقش، فطعنه بخنجر له رأسان ست طعنات: إحداها تحت سرته وهى التى قتلته! ثم طعن نفسه طعنات أردته قتيلاً حينما علم أنه مأخوذ لا محالة.

والظاهر أن ذلك كان تنفيذًا لمؤامـرة دبرها بعض أسرى الفرس الذين نقلوا إلى المدينة وربما كان للهرمزان الذى سـبقت الإشارة إليه يد فى هذا الحادث، لكن ذلك لم يثبت ثبوتًا قاطعًا.

وكانت وفـاته ﷺ لثـلاث بقين من ذى الحـجة سنة ٢٣هـ بعـد أن ولى الخلافـة عشر سنين وستـة أشهر. وكان عـمره عند وفاته ثلاثا وسـتين سنة. وهى السن التى توفى فيها النبى ﷺ وأبو بكر ﷺ. ودفن فى حجرة عائشة بعد استئذانها إلى جانب صاحبيه: أبى بكر والرسول صلوات الله عليه.

ولما أخبره ابن عـباس أن الذى قتله هو غلام المغـيرة قال: الرجل الصنع؟ قال نعم، قـال: «قاتله الله لقد أمرت به مـعروفًا، الحمـد لله الذى لم يجعل منيتى على يد رجل سجد لله سجدة واحدة يحاجنى بها عند الله»!

●●●